البخلاء

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

حققه وهذبه وعلق عليه

بسري عبد الغني البسري

obeikandl.com

للطبع والنشر والتوزيع

٧٦ شارع محمد فريد - النزهة - مصر الجديدة - القاهرة

☎ ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ ف: ٦٣٨٠٤٨٣

اسم الكتاب

البخلاء

اسم المؤلف

أبو عثمان الجاحظ

تصميم الغلاف

إبراهيم محمد

رقم الإيداع

١٩٨٩/٢٥٩٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل أو اقتباس أي جزء من الكتاب أو تخزينه بأية وسيلة ميكانيكية أو إلكترونية بدون إذن كتابي سابق من الناشر.

تطلب جميع مطبوعاتنا من وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

الرياض - هاتف: ٤٢٥٣٧٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦ فاكس: ٤٢٥٥٩٤٥

جدة - هاتف: ٦٥٣٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس: ٦٥٢٤١٨٩

طبع بمطابع العبور الحديثة بالقاهرة ت: ٦١٠١٠١٣ فاكس: ٦١٠١٥٩٩

Web site : www.ibnsina-eg.com E-mail : info@ibnsina-eg.com

obeikandl.com

وقبل أن نبدأ
هذا الرجل يغوص للدر الفريد !

* الجاحظ : مولده ، ونسبه ونشأته :

كانت البصرة العراقية موئلاً من أعظم موائل العلم ، وبيئة من أخصب البيئات الثقافية يلتقى فيها العلماء والأدباء من مختلف شعوب الشرق فى آسيا وإفريقيا ، ويجتمعون بالمربد أو المسجد ـ وكانوا يسمون بالمربديين أو المسجديين ـ وتكون لهم حلقات علمية من أمتع حلقات العلم والدرس والأدب .

● وفى البصرة هذه البيئة الخصبة الآهلة بالعلم والثقافة والمعرفة ولد شيخنا الجاحظ . ولم يعين الرواة وكتاب التراجم سنة مولده على التحديد ، والذى يؤخذ من مجموعها أن الجاحظ ولد فى منتصف القرن الثانى للهجرة ، فيما بين سنة (١٥٠ هـ) و (١٦٠ هـ) ، وقد انفرد ياقوت الحموى فى معجم الأدباء ، برواية تعين سنة ميلاد الجاحظ وبالتحديد حيث روى أن الجاحظ قال : « أنا أسن من أبى نواس بسنة ، ولدت فى أول سنة (١٥٠ هـ) وولد فى آخرها » . فإذا صحت هذه الرواية يكون شيخنا الجاحظ قد ولد سنة خمسين ومائة على وجه التحديد .

● كانت نشأة الجاحظ فى بيت فقير ، مات أبوه منذ حداثته ، فكفلته أمه وقامت على رعايته وتربيته ، ولم يكن لديه أى موردٍيقتات منه إلا أنه كان يبيع الخبز والسمك بنهر سبحان بالبصرة ، ولم ترفه حياته وتظهر نعمته إلا بعد أن اتصل بكبار رجال الدولة وقربوه منهم واجازوه على كتبه ورسائله .

● لقد أضطربت روايات المؤرخين فى أصل الجاحظ ونسبه ، فيذهب بعضهم إلى أنه كنانى ليثى من بنى خزيمة والد النضر أبى قريش ،وبنوكنانة بطن من مضر يقال لهم : كنانة طلحة . وعلى هذا فهو منحدر من أصل عربى وهذا ما نرجحه .

وذهب آخرون إلى أنه كان مولى ابن القلس عمرو بن قلع الكنانى ثم الفقيمى فنسبته إلى كنانة نسبة ولاء ، وقيل إن يموت بن مزرع خال أم الجاحظ ، وكان جد الجاحظ أسود اللون ويقال له فزارة ، جمالاً لعمرو بن قطع الكنانى .

والذى نميل إليه ونرجحه ، أن أبا عثمان الجاحظ كان عربى الدم والنسبة هذا الرجل الذى كرس جهده ، وحياته لخدمة العرب والعربية ، وتزعم أكبر حركة تيار وعى عربى قامت فى وجه الشعوبية حتى هدمتها أو قضت عليها ، أنه رجل يغلى فى عروقه الدم العربى الزكى ، وتثور فى نفسه العزة العربية الصحيحة .

* ثقافة الجاحظ وأساتذته :

● ألتحق الجاحظ فى حداثته بكُتاب من كتاتيب البصرة حتى أجاد القراءة والكتابة ولم يكد يشتد ويبلغ حتى ظهرت عليه علامات النبوغ ، وأخذ يكرس كل وقته لطلب العلم والمعرفة ، ويتلقى العلم والفصاحة شفاهًا من العرب فى المربد العراق ، ويلتقى بالعلماء والخطباء فى مجالسهم وحلقاتهم ، فيأخذ عنهم كل ما وعت صدورهم من علم وثقافة .

ولقد أتيح للجاحظ أساتذة أجلاء كانوا غرة دهرهم وآية عصرهم ، يكفى أن نقول أن من بين هؤلاء الأساتذة (الأصمعى) ذلك العالم الأريب الذى كان يحفظ عنه اللغة ، وجمع شتيتها فى الشجر والنبات والإبل والشاة والوحوش وكذلك (أبو عبيدة معمر بن المثنى) الذى كان يقول فيه الجاحظ : « لم يكن فى الأرض خارجى ولا إجماعى أعلم بجميع العلوم منه » ، وله مصنفات كثيرة فى مختلف أنواع الحيوان والطيور والنباتات ، ومنهم كذلك (الأخفش) الذى أخذ عنه النحو وعلم التصريف وهو فارس ميدانهما ، كما تتلمذ على (أبى زيد الأنصارى) ، و (صالح بن جناح اللخمى) ، (وإبراهيم بن يسار) المعروف بالنظام ، شيخ المعتزلة وإمامهم ، أخذ الجاحظ عنه علم الكلام ، ونبغ فيه حتى أصبح من أعلامه الكبار ، وشيخاً لمدرسة من مدارسه عرفت بالجاحظية ، وقد بلغ من إعجاب الجاحظ بالنظام وإيمانه بعلمه وسعة معرفته أنه قال عنه : أن الأوائل يقولون فى كل ألف سنة رجل لا نظير له ، فإن كان ذلك صحيحًا فهو أبو إسحاق النظام .

من هؤلاء الأساتذة وغيرهم أخذ الجاحظ ثقافته ، وكان شغوفًا بالعلم وبالقراءة فلم يدع فرصة تسنح إلا انتهزها فما ينمى هذه الثقافة ويقويها فأخذ يصب من بحر تلك العلوم والآداب التى شاعت فى عصرها ويلتهم إلتهامًا كل ما تقع عليه يده من كتب وما أكثر ما كانت تقع يده عليها منها . إنه كان يقضى لياليه وأيامه فى طلبها يلتمسها فى الطريق وفى الحوانيت التى تبيعها . حدث عنه أبو هفان قال : لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنًا ما كان ، حتى أنه كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر .

● ويبدو أن الجاحظ لم يكن يشغل نفسه بشىء إلا بالقراءة وجمع الكتب من هنا وهناك باذلاً فى ذلك كل وقته وجهده ، حتى وصل إلى درجة من الثقافة والعلم لم يدانه أحد إليهما ، وروى ياقوت فى معجمه فقال :

« كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام ، وكان واسع العلم بالكلام ، كثير التبحر فيه ،

شديد الضبط لحدوده ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدنيا والدين » .

* * *

معنا عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى ، وكنيته أبو عثمان . والذى سمى الجاحظ لجحوظ عينيه ـ الرجل الفقير الذى نشأ كادحاً عصاميًا يتكسب بيده ، عاملاً صغيرًا ، مُجداً طوال يومه ، ولكنه فى أثناء العمل اليومى الشاق كان يسعى للعلم والتعلم ، ويأخذ حظه من المعرفة ، على قدر ما يتسع له وقته .

لقد عاش الجاحظ قرابة قرنًا من الزمان . فى عصر من أزهى عصور اللغة ، وفى بيئة تزخر بالعلم والفن ، وفى ظل خلفاء ووزراء يدفعون أمتهم إلى الرقى الأدبى والمادى فترجمت العلوم الأجنبية ، ونضجت العلوم العربية ، والدينية وماتفرع منها .

الجاحظ الذى عاش فى البصرة العراقية وسوقها المربد الذى كان معرضا لكل جديد من روائع الشعر والنثر .

الجاحظ الذكى اللماح ، الموهوب ، الذى منحه خالقه ذهنًا لاقطًا ، وذاكرة قوية ، وحافظة أمينة ، وصبرًا على التعب والعناء دون كلل أو ملل .

أخذ عن علماء عصره وأدبائه ورواته ، فأخذ اللغة عن فحولها ، والأدب عن مبدعيه ، والنحو عن أربابه ، والفقه والحديث عن أشهر الفقهاء والمحدثين ، وكان العلم من هؤلاء الأعلام يعتز بأن الجاحظ تلميذ له .

ينتمى الجاحظ إلى فرقة المعتزلة ، وهم فرقة كلامية إسلامية نصبت نفسها للدفاع عن الدين ، وعن العرب ومحاجة أهل الأديان الأخرى ، والمتعصبين للاجناس المعادية ، فدرس كل ألوان المعرفة والفلسفة التى استطاع أن يصل إليها ، ولاسيما كتابات أرسطو استعدادًا للنضال عن الدين والذياد عن حياضة وحياض أهله .

وأقبل الجاحظ على القراءة لتتسع ثقافته وتعمق بالإندماج فى المجتمع ، واتخاذ كل شىء يقع تحت بصره موضوعًا للدراسة والبحث ، من حيوان ونبات ، وصناعة وصناع ، وكره ، وبخل ، ولؤم ونبل ، وذكاء وغباء ، وخالط الباعة والمجانين ، والأدباء والشعراء والملوك ، والوزراء ، وكل ما استطاع لقاءه والأختلاط به من أعضاء المجتمع .

* كتاب البخلاء :

ألف الجاحظ كتبًا كثيرة ، منها ما فقد ، ومنها ما وصل إلينا ، ومن هذه كتاب البخلاء الذى نقدمه اليوم .

و « البخلاء » من أجود الكتب المؤلفة ويحق للغة العربية أن تفاخر به ـ هذا الكتاب الهام الذى جمع فيه الجاحظ أخبارًا تتصل بالبخلاء فى عصره ، تناول فيه المتكلمين والمعتزلة ، وقصَّ من أخبارهم فى البخل أشياء كثيرة ، وقيمة هذا الكتاب فى جمال لفظه العذب ، واستقامة معناه ، وخصب معانيه ، ودقة تصويره الدقيق الذى لا يقاس إليه تصوير . وهو يعمل على تصوير حياة البصرة وبغداد فى عصره .

والجاحظ ذلك العلامة الموسوعى يمتاز بروح فكاهية متفردة فى كتابته إلى جانب القدرة الفائقة على التحليل والتصوير ، فيمزج الجد بالهزل ، كى يصل من الهزل إلى الجد . كما يقول فى مقدمته لهذا الكتاب .

● إن الجاحظ يؤمن بأنه متى أُريد بالمزاح النفع ، وبالضحك الذى جعل الضحك ، صار المزاح جدًا ، والضحك وقارًا . وقد اجتمعت للجاحظ عدة أسباب للإجادة فى هذا الكتاب الهام ، منها ما أشرنا إليه من خفة ظله ، ومنها نمط حياته التى نشأ وترعرع فيها من حيث اختلاطه بعامة الناس وملاحظته لاحوالهم وتصرفاتهم ، ولعل الجاحظ هو أول كاتب يهتم بالناس العاديين ويحرص على تدوين أخبارهم وأفكارهم .

ومن أسباب إجادة الجاحظ أيضًا ثقافته الموسوعية الشاملة الواسعة والتى حصلها من كثرة القراءة ومن تجاربه الواسعة فى معترك الحياة . هذا كله إلى جانب مقدرة تعبيرية فذة وطبع أدبى أصيل .

لقد تحدث الجاحظ فى هذا السفر القيم عن نوعين من البخل :

أولاً : البخل المرضى .

ثانيًا : البخل الصحى .

ونقصد بالبخل المرضى هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ويتخذون من المال معبودًا ومعشوقًا ، ويبخلون به على أنفسهم وعلى ذويهم ويظنون كل الظن أن المال غاية وهدف فيجعلوا أيديهم مغلولة إلى عنقهم شُحًا وتقتيرًا وبخلاً ، فالمال مال الله ، هو وسيلة للحياة ، للبناء ، للتعمير ، للاستمرار وللإنطلاق نحو الأفضل بما حلله الله وشرعه .

أما النوع الثانى : فنقصد به الحرص وهو أمر وأجب ، فالإسلام يطلب منا عدم التبذير وعدم الإسراف وضرورة الاعتدال فى كل أمورنا . « فمريم الصناع » التى تحدث عنها الجاحظ أمرأة فاضلة فكرت فى أمر ابنتها منذ ولادتها وكانت تدخر لها مبلغًا من المال مع كل خبزة حيث توفر صاع دقيق أو صاعين وتنزل السوق لبيع الدقيق ثم تأخذ ثمنه لتدخره إلى أن وصلت الابنة إلى سن طلبها للزواج ، ووقع الزوج السلبى جدًا فى حيص بيص ، وتواجه مريم الأمر بشجاعة منقطعة النظير فتأخذ المبلغ المدخر لتشترى به كل ما يتطلبه تجهيز الفتاه حتى أدوات زينتها ، ويسأل الزوج مريم : من أين لك هذا ؟ فتقول : من عند الله ! إلا أن الزوج يطلب منها عدم الحديث بالجملة والكلام بالتفصيل فتشرح له .

إن مريم الأم المحنكة الواعية التى عرفت أن عندها فتاة وهى فى أمر تجهيزها مسئولية الأسرة قد أعدت العدة ودبرت حالها وبدأت « مشوار » ادخارها منذ ولادة الإبنة . يا لها من زوجة رائعة ! ! إننى لا أعتبر مريم هنا بخيلة بل هى كما وصفها الجاحظ ماهرة بالفعل . فالبخل هنا يحمل معنى الحرص وهو أمر محمود ، لا غضاضة فيه .

ولعل القارىء يلاحظ أنه ابتداءً من قصة (أبى قطبة) يواصل الجاحظ ما جرى عليه فى القصص السابقة من قص نوادر البخلاء وأعاجيبهم فى تصرفاتهم وأساليب أحتجاجهم للبخل وتأييد مسلكهم فى الحرص على المال ببراهين عجيبة ومضحكة إما لأنها ظريفة أو سخيفة .

ونرى بعد قصة [أبى قطبة] احتجاجاً للوجود وتقييداً للبخل ببراهين عقلية واستشهادات نقلية مما يشكل معرضًا للآراء المتضاربة والأدلة المتصارعة .

ثم رأى شيخنا الجاحظ ـ إستكمالاً للفائدة ـ أن يتبع تلك النوادر التى تضمنت كثيرًا من صنوف الطعام واسمائها التى كانت معروفة ومتداولة فى عصره ، وفى كثير منها ألفاظ فارسية وتعبيرات جارية على ألسنة الناس فى بيئته فى ذلك الوقت ـ رأى أن يتبع ذلك ببحث مفيد مستفيض ـ نراه فى آخر الكتاب ـ عن ضروب الطعام عند العرب واسمائها وما تمادحوا وتهاجوا به فى صددها .

وأورد الجاحظ فى خلال ذلك كثيرًا من أشعارهم التى ورد فيها ذكر الطعام والدعوة إليه والجود به

وقد يظن القارىء لهذا الكتاب أن الجاحظ قد ألفه فى شبابه ، لما يشتمل عليه من مرح وسخرية وفكاهة هادفة مما يكون عادة فى سن الشباب . ولكن بعض النصوص الواردة فيه تدل على أنه ألفه وهو شيخ طاعن فى السن وقد عاش الجاحظ (٩٥ عامًا) أو أكثر من مائة عام فى رواية معتمدة موثوق بها .

والغالب المرجح أن الجاحظ ألف كتاب البخلاء فى شيخوخة متقدمة جدًا .

وللجاحظ كتب كثيرة أشهرها على الإطلاق بعد « البخلاء » :

● البيان والتبين : وهو كتاب متخصص بعض الشيء لأنه يتحدث عن البلاغة العربية أو جماليات أدبنا العربى ويعتمد فى تطبيق هذه المقاييس على بلاغة سيد البشر محمد عليه الصلاة والسلام . ونرى فيه لأول مرة بعض التعريفات والمصطلحات البلاغية .

● الحيوان : يتحدث فيه عن الحيوانات وطباعها ونوادرها وذكرها فى الأدب العربى ويسيطر على هذا الكتاب أسلوب الاستطراد الجاحظى المعروف .

وبالمناسبة فى هذا المقام قد يسأل سائل لماذا غلب أسلوب لأستطراد : (بمعنى الخروج من الموضوع إلى موضوع أخر ثم العودة إليه) ، على كتابات الجاحظ ؟! وهل ذلك يحسب له أم عليه ؟!

وقبل الإجابة عن هذا السؤال نجد أن البعض يميل إلى اعتبار الاستطراد ظاهرة غير صحية ، بل هى عيب من عيوب الأسلوب الجاحظى .

وفى الواقع أن الجاحظ نفسه دافع عن ذلك بل يعتبر هو نفسه أول من نبهنا لهذه الظاهرة فى أدبه .

وبعيدًا عن ذكر الفقرات والنصوص التى نبه فيها الجاحظ إلى هذه الظاهرة نوجز نحن أسبابها :

أولاً : لم يكن على أيام الجاحظ منهج علمى ملتزم للتأليف بمعنى أنه لم يكن هناك تقسيمات للكتاب أبواب ثم فصول أو مباحث أو هوامش أو إستدراكات .

ثانيًا : الجاحظ موسوعى الثقافة ، لديه ثقافة واسعة فى كل المعارف والعلوم والفنون وعندما **يمسك بريشته فهو يكتب وتتداعى معلوماته بدون إرادته وهذه سمة كل أصحاب القراءات الواسعة .**

ثالثاً : بالاستطراد كان الجاحظ يبعد الملل عن القارىء تمامًا لأن القارىء عندما يقرأ فى موضوع واحد بوتيرة واحدة ، جادة جدًا ، قد يبعث فى نفسه الملل وينحى الكتاب جانبًا ، ولكن لو استطرد المؤلف ببعض الشروح والتقاسير والنوادر والملح والإيضاحات والأشعار والمأثورات لكان إنجذابه للكتاب أكثر .

قلنا إن للجاحظ مؤلفات عديدة وكثيرة فى مختلف أنواع المعرفة ، ولعل البخلاء كان أيسرها جهدًا ، فقد كتبه بتلقائية وعفوية واضحة ، واستقاه ممن عاشرهم ، ومن الحياة البصرية

والبغدادية . ولم يرجع فيه إلى أى شيء من الكتب وبطون التاريخ . ومن الظواهر الفنية فى نثر الجاحظ : الجدل والحوار وقد أتت هذه النزعة الجدلية فى نثره من :

أولاً : نشأ الجاحظ فى بيئة المعتزلة الذين يمجدون العقل ويعتدون به ، ويعتمدون عليه فى إثبات آرائهم ودفع حجج خصومهم والرد على مناوئيهم ، وتلك تربة خصبة للتكوين العقلى القادر على الحجاج والمناظرة والجدل ، ومن هنا لم يكن غريباً أن تنشأ البلاغة العربية الأصيلة فى هذه البيئة .

ثانيًا : قرأ الجاحظ فلسفة اليونان وتأثر بمذهب السوفسطائيين منهم خاصة ، وقد كان هؤلاء ينصبون أنفسهم معلمين لشباب أثينا ، يعلمونهم البيان والقدرة على الجدال والمناظرة ، حتى يستطيعوا الدفاع عن حقوقهم أمام المحكمة .

وبعيدًا عما قرره د . طه حسين فى مقدمة « نقد النثر » فإن الجاحظ أصطنع هذا المنهج القوى فى الجدل والمناظرة ، وأنه دل على مرونة اللغة وطواعيتها وتوجيهها فى كل سبيل ، كما دلَّ على مقدرة فائقة فى تشقيق المعانى وتوليدها وقوة البرهنة عليها مع تناقضها أحياناً .

لقد افتن الرجل وأبدع . على يديه تلك المعانى والألفاظ ، فهى طيعة له فى كل مجال وفى كل مذهب وعلى القارىء أن يلقى نظرة على قصة (تمام بن جعفر) واحد من بخلاء الجاحظ كان بخيلاً على الطعام مفرط البخل ، وكان يقبل على من أكل خبزة بكل علمه ويطالبه بكل طائلة ، وحتى ربما استخرج عليه أنه كان حلال الدم .

لقد أحتج الجاحظ فى هذه القصة للشيء وضده ، وكان يدور بالكلام بين المعنى ونقيضه . دون أن تكل قوته ، أو تفتر حجته . أو يستعصى عليه لفظ أو يستغلق دونه معنى وتلك آية من آيات عبقريته وصورة من قوة بيانه وبلاغته . ونفثه من نفثات اعجازه الذى خلده على الزمن محوطًا بآيات العظمة والفخار .

لهذا جاء البخلاء صورة حية لحياة أولئك الذين تناولهم ووصفهم فى جدهم وهزلهم .

إن قيمة هذا الكتاب (كتاب البخلاء) الحقيقية ليست مجرد القصص وحكاية النوادر ، بل هى فيما أورده من أراء فى البخل وتصوير لعقليات البخلاء وحججهم وأحوالهم ، وكذلك فى الموازنة بين هذه الحجج والحجج المضادة لهم تأييدًا للجهود .

* أول من أهتم بنشر كتاب البخلاء المستشرق (فان فلوتين) سنة ١٩٠٠ م ونشرته دار (برل) بليدن الهولندية . ثم نشره سنة ١٩٠٥ م الحاج الساسى المغربى . ثم قامت وزارة المعارف

المصرية بنشره بتحقيق الأستاذين : أحمد العوامرى ، وعلى الجارم سنة ١٩٣٨ . ونشرته بعد ذلك دار النشر العربى بدمشق السورية . ثم قام الأستاذ طه الحاجرى بتحقيقه ، وقامت دار الكاتب المصرى بنشره سنة ١٩٤٨ . ثم نشرته دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٦٣ .

واليوم ونحن نقدم « البخلاء » للجاحظ لا نزعم أننا نقدم جهدًا متفرداً لم يقدمه أساتذة أجلاء سبقونا إلى هذا المضمار ، الا أننا وضعنا نصب أعيننا المخطوط الوحيدة الموجودة بمخطوطات دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٦/أدب/ش) ويرجع خطهاإلى سنة ١٣٠٣ هـ وتقع فى ٢٧٧ صفحة / قطع كبير وهى معتمدنا فى تحقيق البخلاء ــ ثم قمنا بالآتى .

- نسخنا المخطوطة وطابقناها بكل الطبعات المشار إليها وخروجنا بعد النظر والمقارنة بأحسن صورة صحيحة .
- ضبطنا النصوص لغوياً ، ونحوياً ، واملائياً .
- شرحنا الكلمات الصعبة مع عدم الاستفاضة قدر الإمكان .
- ذكرنا مناسبة القصة وحاولنا ربطها بما قبلها أو بعدها .
- عرفنا بالأعلام والأماكن الواردة فى الكتاب قدر المستطاع دون تطويل ممل ، أو تقصير مخل .
- وضعنا عناوين مناسبة لكل قصة أو كل حكاية كى يسهل ذلك على القارىء عموم الفائدة ــ وفى وضع العناوين لم نقتصر فيها على عناوين كبيرة أساسية بل فرعنا منها عناوين أخرى يقتضيها السياق واعتقد أن ذلك أجدى وأفضل .

إن كتاب البخلاء وثيقة نصية نتركها للقارىء كى يعيش مع الجاحظ وعصره : اجتماعيًا ، وثقافيًا ، وفكريًا ، وكى يحكم على عبقرية هذا الرجل التى لا مثيل لها بين كتاب النثر الفنى على عصره (*)

وفى نهاية هذا التقديم أرجو المولى سبحانه وتعالى أن يكون جهدى حاز قبول القارىء . كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من قدم لى يد العون والمساعدة كى يرى « البخلاء » النور مرة أخرى فى طبعة جديدة وتحقيق جديد .

(*) يلاحظ القارىء أنه ابتداءً من قصة (اسد بن جانى) يكثر الاستشهاد من جانب الجاحظ بآيات القرآن والأحاديث النبوية المطهرة والاشعار والمأثور من كلام العرب لذلك آثرنا الضبط الكامل قدر الإمكان بدءً من هذا الموضوع .

openkanal.com

مقدمة المؤلف

* رَبِّ أنعمت فزد :

تولاك الله بحفظه ، وأعانك على شكره ، ووفقك لطاعته ، وجعلك من الفائزين برحمته .

ذكرت[1] ـ حفظك الله ! ـ أنك قرأت كتابى فى « تصنيف حيل لصوص النهار » ، وفى تفصيل حيل سُراق الليل[2] . وإنك سددت به كل خلل ، وحصنت به كل عورة[3] . وتقدمت ـ بما أفادك من لطائف الخدع ، ونبهك عليه من غرائب الحيل ـ فيما عسى أن لا يبلغه كيد[4] ، ولا يجوزه مكر . وذكرت أن موقع نفعه عظيم ، وأن التقدم فى درسه واجب ، وقلت : اذكر لى نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء . وما يجوز[5] من ذلك فى باب الهزل وما يجوز منه فى باب الجد . لا جعل الهزل مستراحًا ، والمزاحمة جمامًا[6] ، فإن للجد كدًا يمنع من معاودته ، ولابد لمن التمس نفعه من مراجعته[7] . وذكر ملح الخزامى[8] واحتجاج الكندى ورسالة سهل بن هارون ، وكلام بن غزوان وخطبة الحارثى وكل ما حضرنى من أعاجيبهم وأعاجيب غيرهم ولم سموا البخل اصلاحًا والشح اقتصادًا ، ولم حاموا على المنع[9] ، ونسبوه إلى الحزم ، ولم نصبوا للمواساة[10]، وقرنوها بالتضييع ، ولم جعلوا الجود سرفا ، والأثرة[11] جهلاً ، ولم زهدوا فى الحمد ، وقل احتفالهم بالذم ، ولم استضعفوا من هش للذكر[12]، وارتاح للبذل ، ولم حكموا بالقوة لمن لا يميل إلى ثناء ، ولا ينحرف عن هجاء ، ولم احتجوا بشظف العيش على لينه ، وبمره على حلوه ، ولم لم يستحيوا من رفض الطيبات فى رحالهم[13] مع استهتارهم بها فى رحال غيرهم ، ولم تتابعوا فى البخل ، ولم اختاروا ما يوجب ذلك الاسم مع أنفتهم من ذلك الاسم ، ولم رغبوا فى الكسب مع زهدهم فى الانفاق ، ولم عملوا فى الغنى عمل الخائف من زوال الغنى ، ولم يفعلوا

---

(١) يخاطب الجاحظ رجلاً لم يذكر اسمه . طلب منه أن يؤلف كتاب البخلاء

(٢) اسم كتاب للجاحظ لم أعثر عليه .

(٣) أى أنك أكملت به ما كان من نقص . وأنك بما استفدت من هذا الكتاب قد قويت مواقع الضعف .

(٤) وسبقت غيرك بما استفدته من غرائب تلك الخدع والحيل فى فهم ما يظن ألا يبلغه كيد الكائدين .

(٥) أى ما يدخل فى ذلك فى باب الهزل . وما يجوز منه فى باب الجد . كى يجعل من الهزل وسيلة للراحة كما سيأتى .

(٦) الجمام هو الراحة التى بعدها يستأنف العمل .

(٧) مراجعته بمعنى الرجوع إلى الجد بعد الراحة .

(٨) الخزامى ، والكندى ، وسهل بن هارون وابن غزوان والحارثى كل هؤلاء من البخلاء وأنصار البخل وتحدث عنهم الجاحظ فى استفاضة .

(٩) حاموا على المنع بمعنى قصدوه وحرصوا عليه . وهو من تحويم الطير على الشيء أى تدويمه حوله

(١٠) بمعنى عادوا مواساة المحتاج بالمال .

(١١) الأثرة هنا بمعنى العطاء .

(١٢) أى ارتاحوا للمدح والثناء .

(١٣) الرحال : المنازل والبيوت .

فى الغنى عمل الراجى لدوام الغنى . ولم وفروا نصيب الخوف وبخسوا نصيب الرجاء ، مع طول السلامة ، وشمول العافية ، والمعافى أكثر من المبتلى .

وليست الفوائد أقل من الجوائح[1] . بل كيف يدعو إلى السعادة من خص نفسه بالشقوة وكيف ينتحل نصيحة العامة من بدأ بغش الخاصة[2] ، ولم احتجوا ـ مع سدد[3] عقولهم ـ بما أجمعت الأمة على تقبيحه ، ولم فخروا ـ مع أتساع معرفتهم ـ بما أطبقوا على تهجينه[4] ، وكيف يفطن عند الاعتدال له ، ويتغلغل عند الاحتجاج عنه إلى الغايات البعيدة ، والمعانى اللطيفة ، ولا يفطن لظاهر قبحه ، وشناعة اسمه وخمول ذكره ، وسوء أثره على أهله ، وكيف وهو الذى يجمع له بين الكد وقلة المرفق[5] . وبين السهر وخشونة المضجع ، وبين طول الاغتراب[6] وطول قلة الانتفاع . ومع علمه بأن وارثه أعدى من عدوه ، وأنه أحق بماله من وليه[7] أو ليس لو أظهر الجهل والغباوة ، وانتحل الغفلة والحماقة . ثم احتج بتلك المعانى الشداد ، وبالألفاظ الحسان وجودة الاختصار ، وبتقريب المعنى وبسهولة المخرج وأصابة الموضع ـ لكان ما ظهر من معانيه وبيانه مكذبًا لم ظهر من جهله ونقصانه ؟[8] ولم جاز أن يبصر بغفلة البعيد الغامض ، ويعيا عن القريب الجليل ؟[9]

وقلت : فبين لى ما الشىء الذى خبل عقولهم وأفسد أذهانهم وأعشى تلك الأبصار ، ونقض ذلك الأعتدال ، وما الشىء الذى له عاندوا الحق ، وخالفوا الأمم ، وما هذا التركيب المتضاد ، والمزاج المتنافى ؟ وما هذا الغباء الشديد الذى إلى جنبه فطنة عجيبة ؟ ، وما هذا السبب الذى خفى به الجليل الواضح ، وأدرك به الدقيق الغامض ؟!

---

(١) الجوائح هى النوازل المهلكة .
(٢) ينتحل بمعنى يدعى ، ويقصد الجاحظ بغش الخاصة إيهامهم بأنهم على حق فى مذهب البخل .
(٣) السدد هو سداد العقول وصوابها .
(٤) يعنى أنهم لم افتخروا بما أجمع الناس على أنه ممجوج وقبيح .
(٥) أى قلة ما يرتفق وينتفع به ، يقول : وكيف يكون البخل فضيلة وهو يجعل صاحبه يجمع بين الكد فى تحصيل المال وقلة الانتفاع به ؟! .
(٦) طول الاغتراب لكسب المال .
(٧) الولى هنا الوارث .
(٨) أى لعلم الناس أن ما أظهره من تلك الصفات ليس حقيقة وإنما تصنع وإدعاء .
(٩) والمراد بالبعيد الغامض مزايا البخل ، وبالقريب الجليل محاسن الكرم .

وقلت : وليس عجبي ممن خلع عذاره[1] في البخل ، وأبدى صفحته للذم[2] ، ولم يرض من القول إلّا بمقارعة الخصم ولا من الاحتجاج إلّا بما رسم في الكتب[3] ، ولا عجبي من مغلوب على عقله مسخر لاظهار عيبه ، كعجبي ممن قد فطن لبخله ، وعرف إفراط شحه ، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب في طبعه ، ولربما ظن أن قد فطن له وعرف ما عنده ، فهو شيئًا لا يقبل التمويه ورقع خرقًا لا يقبل الرقع . فلو أنه كما فطن لعيبه وفطن لمن فطن لعيبه ، فطن لضعفه عن علاج نفسه ، وعن تقويم اخلاطه[4] وعن استرجاع ما سلفت من عاداته ، وعن قلبه أخلاقه المدخولة[5] إلى أن تعود سليمة ، لترك تكلف ما لا يستطيعه . ولربح الانفاق على من يذمه[6] ، ولم وضعَ على نفسهِ الرُقباء ، ولا أحضر مائدته الشعراء[7] . ولا خالط برد الآفاق[8] ولا لابس الموكلين بالأخبار ولا استراح من كد الكلفة . تودخل في غمار الأمة[9] .

وبعد : فما باله يفطن لعيوب الناس إذا أطعموه ، ولا يفطن لعيب نفسه إذا أطعمهم ، وإن كان عيبه مكشوفًا وعيب من أطعمه مستورًا ، ولم سخت نفس أحدهم بالكثير من التبر ، وشحت بالقليل من الطعم ، وقد علم أن الذي منع يسير في جنب ما بذل ، وأنه لو شاء أن يحصل بالقليل مما جاد به أضعاف ما بخل به كان ذلك عتيدًا[10] ، ويسيرًا ، موجودًا .

وقلت : ولابد من أن تعرفني الهنات[11] التي نمت[12] على المتكلفين ، ودلت على حقائق المتموهين ، وهتكت عن أستار الادعياء ، وفرقت بين الحقيقة والرياء ، وفصلت بين المقهور المنزجر ، والمطبوع المبتهل[13] لتقف ـ زعمت ـ عندها ولتعرض نفسك عليها ، ولتتوهم[14] موقعها ، فإن نبهك التصفح[15] لها على عيب قد أغفلته ، عرفت مكانه فاجتنبته فإن كان عيبًا ظاهرًا معروفًا عندك نظرت ، فإن كان احتمالك فاضلاً على بخلك دمت على اطعامهم ،اوعلى

---

(١) خلع عذاره أي انطلق في غيه دون حياء .
(٢) الصفحة الوجه ، والمعنى أنه واجه الذم ولم يبال به .
(٣) رسم في الكتب : كتب فيها ، والمعنى أنه لم يأت بالحجة لتعزيز البخل إلّا مما في الكتب ليكون أبلغ في الاحتجاج .
(٤) اخلاطه : العناصر التي يتكون منها مزاجه .
(٥) قلبه اخلاقه المدخوله بمعنى تحويلها والمدخولة التي دخلها عيب .
(٦) أي لما خسر المال الذي ينفقه على من يذمه اتقاء لسانه .
(٧) أي يمدحوه .
(٨) برد الآفاق : البرد جمع بريد ، ويقصد الرسل الذين يرسلهم إلى الأفاق لإذاعة أخبار كرمه .
(٩) دخل في زحمة الناس كأي واحدٍ منهم .
(١٠) عتيدًا أي مهيأً ميسورًا .
(١١) جمع هنة . وهي الخصلة المذمومة .
(١٢) أي دلت عليهم .
(١٣) المطبوع الذي هو على سجيته ، والمبتهل المطلق غير المقيد .
(١٤) التوهم هنا بمعنى التبين .
(١٥) التصفح لها أي فحصها واحدة واحدة .

اكتساب المحبة بمؤاكلتهم . وإن كان اكترائك غامرًا لاجتهادك سترت نفسك ، وانفردت بطيب زادك ودخلت مع الغمار ، وعشت عيش المستورين . وإن كانت الحروب بينك وبين طباعك سجالاً ، وكانت أسبابكما أمثالاً وأشكالاً[٤] ، أجبت الحزم إلى ترك التعرض[٥] ، وأجبت الاحتياط إلى رفض التكلف[٦] ، ورأيت أن من حصل السلامة من الذم ، فقد غنم ، وأن من آثر الثقة على التغرير[٧] فقد حزم .

وذكرت : أنك إلى معرفة هذا الباب أحوج ، وأن ذا المروءة إلى هذا العلم أفقر . وأنى إن حصنت من الذم عرضك بعد أن حصنت من اللصوص مالك[٨] ، فقد بلغت لك ما لم يبلغه أب بار ، ولا أم رؤوم .

وسألت : أن أكتب لك علة الجهجاه[١] فى تحسين الكذب فى مواضع ، وفى تقبيح الصدق فى مواضع ، وفى إلحاق الكذب بمرتبة الصدق ، وفى خط الصدق إلى موضع الكذب ، وأن الناس يظلمون الكذب بتناسى مناقبه ، وتذكر مثالبه ويحابون الصدق بتذكر منافعه وبتناسى مضاره ، وأنهم لو وازنوا بين مرافقهما[٧] ، وعدلوا بين خصالهما لما فرقوا بينهما هذا التفريق ، ولما رأوهما بهذه العيون .

ومذهب صحصح[٨] فى تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن الغباء فى الجملة أنفع من الفطنة فى الجملة ، وأن عيش البهائم أحسن موقعًا من النفوس من عيش العقلاء ، وأنك لو أسمنت بهيمة ورجلاً ذا مروءة ، أو امرأة ذات عقل وهمة وأخرى ذات غباء وغفلة . لكان الشحم إلى البهيمة أسرع ، وعن ذات العقل والهمة أبطأ ، لأن العقل مقرون بالحذر والاهتمام ، ولأن الغباء مقرون بفراغ البال والأمن . فلذلك البهيمة تقنو[٩] شحمًا فى الأيام اليسيرة ، ولا تجد ذلك لذى الهمة البعيدة متوقع البلاء فى البلاء وإن سلم منه ، والغافل فى الرخاء إلى أن يدركه البلاء .

ولولا أنك تجد هذه الأبواب[١٠] وأكثر منها مصورة فى كتابى الذى سمى كتاب المسائل ،

---

(١) حجج كل منكما أنت وطباعك ، وأمثالاً واشكالاً يعنى متعادلة .
(٢) التعرض للذم .
(٣) تكلف الكرم أى أنك تسلك سبيلاً وسطًا بين البخل والكرم .
(٤) التغرير المراد تعريض المال للهلاك .
(٥) أى بما بيته لك فى كتابى « فى تصنيف حيل لصوص النهار وفى تفضيل حيل سراق الليل » .
(٦) الجهجاه : رجل يرى أن الكذب يحسن فى بعض الأحوال والصدق يقبح فى مواضع .
(٧) أى لو وازنوا بين ما يحتاج إليه من كل من الصدق والكذب .
(٨) صحصح هذا رجل يرى تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن الغباء أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقعًا من النفوس من عيش العقلاء .. إلخ . إلخ .
(٩) تقنو بمعنى تجمع شحمًا فى الأيام اليسيرة .
(١٠) أى هذه الأبواب ويعنى بالأبواب الأمور السابقة التى طلب السائل من المؤلف أن يوضحها ويبينها .

لاتيت على كثير منها فى هذا الكتاب .

فأما ما سألت من احتجاج الأشِحاء ونوادر أحاديث البخلاء ، فسأوجدك ذلك فى قصصهم ـ إن شاء الله تعالى ـ مفرقًا ، وفى احتجاجهم مجملاً . فهو أجمع لهذا الباب من وصف ما عندى دون ما انتهى إلىّ من أخبارهم على وجهها ، وعلى أن الكتاب : أيضًا يصير أقصر ، ويصير العار[1] فيه أقل .

ونبتدى برسالة سهل بن هارون ، ثم بطرف أهل خراسان ، لاكثار الناس فى أهل خراسان[2] .

ولك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة . وأنت فى ضحك منه إذا شئت ، وفى لهو إذا مللت الجد .

وأنا أزعم أن البكاء صالح للطبائع ، ومحمود المغبة إذا وافق الموضع ولم يجاوز المقدار ، ولم يعدل عن الجهة[3] ، ودليل على الرقة . والبعد عن القسوة ، وربما عد من الوفاء ، وشدة الوجد على الأولياء[4] . وهو من أعظم ما تقرب به العابدون واسترحم به الخائفون .

وقال بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبى له : لا تجزع ، فإنه أفتح لصوته ، وأصح لبصره .

وضرب عامر بن عبد قيس[5] بيده على عينه فقال : جامدة شاخصة لا تندى ! وقيل لصفوان بن محرز[6] عند طول بكائه وتذكر أحزانه : إن طول البكاء يورث العمى ، فقال : ذلك لها شهادة ![7] فبكى حتى عمى . وقد مدح بالبكاء ناس كثير ، منهم يحيى البكاء ، وهيثم البكاء ، وكان صفوان بن محرز يسمى البكاء . وإذا كان البكاء ـ ما دام صاحبه فيه فإنه فى بلاء ، وربما أعمى البصر وأفسد الدماغ ودل على السخف وقضى على صاحبه بالهلع وشبه بالأمة اللكعاء[8] . وبالحدث الضرع ـ[9] كذلك ،[10] فما ظنك بالضحك الذى لا يزال صاحبه فى غاية السرور إلى أن ينقطع عن سببه ؟

ولو كان الضحك قبيحًا من الضاحك وقبيحًا من المضحك ، لما قيل للزهرة والحبرة والحلى

(١) المقصود بالعار ما يذكر عن البخلاء .
(٢) أى لكثرة ما يتناقل الناس من أخبارهم أخبار أهل خراسان .
(٣) اى لم يتحول عن الوجه اللائق به .
(٤) الأصدقاء الأوفياء .
(٥) ابن عبد القيس رجل من الأخيار ، يقال أن عبد الله بن عامر نفاه للشام بأمر من عثمان بن عفان وتوفى بها .
(٦) صفوان بن محرز اعتبره الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) من بين النساك والزهاد من أهل البيان .
(٧) أنى أن العمى يشهد بحزنه .
(٨) الجارية الحمقاء .
(٩) الحدث هو الشاب الصغير السن ، والضرع الذليل .
(١٠) خبر كان (ولو كان الضحك قبيحًا ... إلخ) .

والقصر المبنى كأنه يضحك ضحكًا . وقد قال الله جل ذكره : ﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا** ﴾[1] فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت ، وإنه لا يضيف الله إلى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص .

وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيمًا ، ومن مصلحة الطباع كبيرًا ، وهو شيء فى أصل الطباع ، وفى أساس التركيب[2] . لأن الضحك أول خير يظهر من الصبى ، وبه تطيب نفسه ، وعليه ينبت شحمه . ويكثر دمه الذى هو علة سروره ومادة قوته ، ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى أولادها بالضحاك وببسام وبطلق وبطليق . وقد ضحك النبى ﷺ وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا وإذا مدحوا قالوا : هو ضحوك السن وبسام العشيات[3] وهش إلى الضيف وذو أريحية واهتزاز[4] ، وإذا ذموا قالوا : هو عبوس وهو كالح ، وهو قطوب وهو شتيم المحيا وهو مكفهر أبدا . وهو كريه ومقبض الوجه وحامض الوجه وكأنما وجهه بالخل منضوح .

وللضحك موضع وله مقدار ، وللمزح موضع وله مقدار ومتى جازهما[5] أحد وقصر عنهما أحد ، صار الفاضل خطلاً[6] ، والتقصير نقصًا . فالناس لم يعيبوا الضحك إلَّا بقدر . ولم يعيبوا المزح إلا بقدر . ومتى أريد بالمزح النفع ، وبالضحك الشيء الذى له جعل الضحك ، صار المزح جدًا والضحك وقارًا .

* * *

وهذا كتاب لا أفرغ منه[7] ولا أستر عنك عيبه ، لأنه لا يجوز أن يكمل كما تريده ، ولا يجوز أن نوفى حقه كما ينبغى له لأن ها هنا أحاديث كثيرة متى اطلعنا منها حرفًا[8] وعرف أصحابها وإن لم نسمهم ولم نرد ذلك بهم ، وسواء سميناهم أو ذكرنا ما يدل على أسمائهم . منهم : الصديق ، والولى[9] ، والمستور والمتحمل[10] . وليس يفى حسن الفائدة لكم بقبح الجناية عليهم فهذا باب يسقط البتة ، ويختل به الكتاب لا محالة . وهو أكبرها بابًا وأعجبها منك موقعًا ـ وأحاديث أخر ليس لها شهرة . ولو شهرت لما كان فيها دليل على أربابها ولا هى مفيدة أصحابها . وليس يتوفر

(١) النجم : ٤٣ .
(٢) أساس التركيب النفسى للإنسان .
(٣) بسام فى العشيات . كناية عن الكرم وترحيبه بالضيوف إذا حضروا لتناول العشاء عنده .
(٤) بمعنى أنه يستريح ويهتز سرورًا للضيف .
(٥) جازهما أى تجاوزهما
(٦) الفاضل هو الزائد ، والخطل هو الحمق .
(٧) لا أجعلك فيه ضالاً على غير هدى .
(٨) جانبًا .
(٩) الولى هو الناصر ، المؤيد .
(١٠) المستور المتحمل هو الظاهر على غير حقيقته .

أبدًا حسنها إلَّا بأن يعرف أهلها ، وحتى تتصل بمستحقها وبمعادتها واللائقين بها . وفى قطع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف الملحة ، وذهاب شطر النادرة . ولو أن رجلاً ألْزَقَ نادرة بأبى الحارث جمين ، والهيثم بن مطهر ، وبمزيد ، وابن أحمر[1] ثم كانت باردة لجرت على أحسن ما يكون . ولو ولد نادرة حارة فى نفسها مليحة فى معناها ، ثم أضافها إلى صالح بن حنين ، وإلى ابن النواء وإلى بعض البغضاء ، لعادت باردة ولصارت فاترة فإن الفاتر شر من البارد .

وكما أنك لو ولدت كلامًا فى الزهد وموعظة للناس ثم قلت : هذا من كلام بكر بن عبدالله المزنى ، وعامر بن عبد قيس العنبرى ، ومؤرق العجلى ، ويزيد الرقاشى[2] لتضاعف حسنه ، ولا حدث له ذلك النسب نضارة ورفعة لم تكن له ولو قلت : قالها أبو كعب الصوفى أو عبد المؤمن ، أو أبو النواس الشاعر أو حسين الخليع[3] لما كان لها إلَّا مالها فى نفسها ، وبالحرى أن تغلط فى مقدارها ، فتبخس من حقها .

وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها . وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها ، إما بالخوف منهم ، وإما بالإكرام لهم ، ولولا أنك سألتنى هذا الكتاب لما تكلفته[4] ولما وضعت كلامى موضع الضيم والنقمة ، فإن كانت لائمة أو عجز فعليك ، وإن كان عذر فلى دونك .

* رسالة سهل بن هارون[5]

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله .

قال الأحنف بن قيس[6] : يا معشر بنى تميم ! لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال ، أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابًا : فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى عن مرشد[7] وتغرى بمشفق[8] .

وما أردنا بما قلنا إلَّا هدايتكم ، وتقويمكم وإلَّا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم ، ولئن

---

(١) الأربعة من أصحاب النوادر والفكاهه والمزاح .
(٢) الثلاثة من الزهاد .
(٣) الاربعة من المجان .
(٤) تكلفته أى ألفته على مشقه .
(٥) كتبها إلى محمد بن راهبون إلى بنى عمه من آل راهبون حين ذموا مذهبه فى البخل وتتبعوا كلامه فى الكتب أى التى يكتبها فى موضوع البخل ومدحه . ويمكن لنا اعتبار هذه الرسالة هى الفصل الأول من البخلاء .
(٦) اسمه الضحاك أو صخر . وكان يضرب به المثل فى الحلم والسيادة . وفد على عمر بن الخطاب فى وفد من قومه . وشهد صفين ومات معمرًا فى ٦٩ هـ .
(٧) عن مرشد أى عن اتباع مرشد .
(٨) أى تحرض الناس على المشفق الرحيم .